

الفتح أو الشهادة، لا غاية وراءهما، فهَيَّيُوا أَنْفُسَكُمْ لِإِحْدَى الْغَايَتَيْنِ، لَا تُتَنَازَعُ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ إِلَى أَهْلِهِ وَزَوْجِهِ وَوَلَدِهِ، أَوْ يَحْنُ حَنِينَ النَّيْبِ إِلَى أَعْطَانِهَا،^٢ فَلَا وَطَنَ لَكُمْ إِلَّا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَاتَّخِذُوهُ مَقَامًا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ ...

أَلَا وَإِنَّ الرُّومَ قَدْ حَصَّنُوا أَسْوَارَهُمْ وَمَلَّسُوهَا وَطَاوَلُوا بِهَا حَتَّى لَا مَطْمَعٌ لِنَاقِبٍ أَوْ مَتَسَلِّقٍ أَوْ وَاثِبٍ؛ فَلْتَدْعُوهُمْ سُجَنَاءَ وَرَاءَ أَسْوَارِهِمْ هَذِهِ لَا يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ دَاخِلٌ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ خَارِجٌ، حَتَّى يَنْفَدَ الزَّادُ وَالْعَتَادُ، وَيَبْلُغَ مِنْهُمْ الْجَهْدُ، فَيَطْلُبُوا السَّلَامَةَ وَيُلْقُوا السِّلَاحَ وَيُفْتَحَ لَكُمْ.

أَلَا وَإِنَّ مُقَامَكُمْ عَلَى هَذَا سَيَطُولُ حَتَّى يَنْفَدَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ ذُخْرٍ؛ فَلَا يَمْسَسُ أَحَدٌ مِنْكُمْ طَعَامًا أَتَى بِهِ مِنْ هُنَاكَ، وَالتَّمَسُوا الرِّزْقَ مِمَّا يَلِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الْقُرَى الرُّومِيَّةِ، وَدُونَكُمْ الْأَرْضَ فَاحْرِثُوا وَابْذُرُوا وَتَمَرُّوا، وَقَدْ جَلِبْتُ لَكُمْ قُطْعَانًا مِنَ الْجَامُوسِ وَالْإِبِلِ وَالضَّأْنِ؛ لِلْحَرْثِ وَاللَّبَنِ وَاللَّحْمِ وَدَفْعِ الشِّتَاءِ، وَلَا تَطُلْ إِقَامَتَكُمْ فِي هَذِهِ الْخِيَامِ حَتَّى يَفْجَأَكُمْ الْبَرْدُ وَيَسُدَّ الثَّلْجُ عَلَيْكُمْ أَبْوَابَهَا، فَدُونَكُمْ هَذِهِ الْغَابَاتِ فَاقْتَطِعُوا مِنْ أَشْجَارِهَا، وَاتَّخِذُوا بَيْوتًا مِنْ خَشَبٍ تَجْعَلُونَ فِيهَا مَتَاعَكُمْ وَتَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَاحْتَفِرُوا الْعْيُونَ وَاسْتَنْبِطُوا الْأَبَارَ تَزَوُّونَ مِنْهَا وَتَسْقُونَ الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ ...

أَيُّهَا الْعَرَبُ، إِنَّ أَظْفَرَ الطَّائِفَتَيْنِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ أَصْبَرُهُمَا؛ فَلَا عَلَيْكُمْ مِنْ طَوْلِ الْمَقَامِ مَا ضَمِنْتُمُ الظَّفَرَ فِي الْعَاقِبَةِ.

أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ إِلَى اللَّهِ، لَقَدْ خَلَفْتُمْ طَائِعِينَ دِيَارَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ إِلَى مَدِينَةِ أَبِي أَيُّوبَ، فَتَرَبَّصُوا فِي دَارِ هَجْرَتِكُمْ هَذِهِ بَعْدُوكُمْ وَعَدُوَّ اللَّهِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَلْقَوْهُ بِيَوْمٍ كَيَوْمِ بَدْرٍ.

وَتَفَرَّقَ جُنْدُ الْعَرَبِ فِي الْأَرْضِ الْفِيحَاءِ عَلَى اسْتِدَارَةِ الْقَوْسِ مِنْ أَسْوَارِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، قَدْ اتَّخَذُوا بَيْوتًا، وَفَلَحُوا أَرْضًا، وَاسْتَنْبَطُوا أَبَارًا، وَاسْتَنْبَتُوا مِرَاعِي، وَأَنْشَأُوا حِظَائِرَ، وَاسْتَوْطَنُوا اسْتِيطَانَ مَنْ لَا يُفَكِّرُ فِي الرَّحِيلِ!

^٢ النيب: الإبل، أعطانها: مواطنها.